مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

العدد الثاني والخمسون - يونيو 2012

الساعات الخصوصية المؤدّى عنها في المغرب و مدى تحقيق: مبدأ تكافؤ الفُرص، التقييم، التوظيف .. و أمور أخرى

محمد بوشيخة
أستاذ اللغة العربية و كاتب و صحفي

قيل، لتعرف رُقي أمة ما، اسأل عن مستوى تعليمها .. فالمجتمعات العالمية تولي أهمية قصوى لتحسين تعليمها والنهوض به بعد تطبيبه لمواصلة ركب التقدم والتحضر .. فهذا ينظر في البنيات الأساس (فضاءات / وسائل / أجهزة / ...)، وذلك يبحث في الخلل ضمن أحد عناصر العملية التعليمية التعلمية، أعني المربي عفواً المعلم - الأستاذ .. و طائفة أخرى تشكو أمرها لله مما تفعله بعض القنوات التلفزية وشطَحات القافلة المجتمعية المعطوبة بأبنائها.

علّنا نرى الآن أن كل تخبّط وتشرذم يواجهه حقل التعليم فهو لا يخرج عن أقطاب ثلاثة: المعلم / المتعلم / الكتاب - الوسائل - المؤسسات باعتبارها بنية، و للخروج من أزمة القطاع لابد من النظر في هذه الأشياء مجتمعة، و السعي وراء مدّ اليد إليها.

في المجتمع المغربي توالت الإصلاحات وتعالت الصّرخات .. وأردنا نحن - المغاربة-، أقصد المسئولين فك لغز القضية - المعضلة ففشلنا، والعلة في ذلك تكمن في عدم نجاعة ما نقدمه من دواء ... مادامت العقليات معظم العقليات لا تؤمن بالإصلاح ... وإن كان هنالك من استثناء فهو الاستثناء الذي لم يتشرّب بعدُ مغزى ما نرمي إليه ومن ثمّ لا يعي معنى الإصلاح ...!.

قلت مادامت العقليات كذلك فالمشكل عويص والأعوص منه عندما تجد طائفة تتحمل قسطاً من المسؤولية تزيد الطين بلّة، وقناعتها - للأسف - تتلخص في العبارة المغربية

الدارجية المتداولة «غيرْ تْفُوتْني اُوتْجي فمن بْغَاتْ» = تبتعد عني المفسدة ولتلتحق بمن تريد ... دون أن يدري هؤلاء أن مثل هذا الكلام هو الذي أوقعنا فيما نحن فيه، وأن المشكل يُسْهم فيه كل طرف وإن اختلفت مستويات المسؤولية.

يقول هؤلاء: مادامت المؤسسات لا تقدم ولا تؤخر شيئاً سأضيف لأبنائي دروس الدعم والتقوية ...!، ونسواً بأن هناك فضاءً بمكنتهم التحرك من خلاله للنهوض بالمؤسسة التعليمية والمشاركة في الإصلاح، أقصد جمعية آباء وأولياء التلاميذ.

في المقابل يقول آخرون: الذين يستفيدون من الوضع من الوجهة المعكوسة... لماذا لا أضيف ساعات للدعم والتقوية والحقيقة أنه يفعل ذلك ليقوي و يدعم نفسه ...!

لا نرغب في هذا المضمار مباشرةَ موضوعِ التعليم بما يحمله من تناقضات واختلالاتَ وتموجات بات من الصعب ائتمانها ... فقط قلنا كل ماسبق لنمهد لجرثومة تُسْهم بطريقة أو بأخرى في الدفع بالقافلة إلى المنحدر ... تلكم الجرثومة ترتبط بما ينعت بـ:

الساعات «السْوَايْغْ» الخصوصية المؤدى عنها:

ترانا آنفا خلُصنا إلى التركيز على قطبين أساسين في العملية التعليمية التعلمية: المعلم - الأستاذ و التلميذ؛ هذا دون أن نغفل القطب الآخر ... فموقعه فيما نرغب الحديث عنه بادٍ للقريب والبعيد عن أسرة التعليم ..

التلميذ؛ هذا الكائن الذي لاحول ولا قوة له في كل ما يقع جُعلت **جمعية آباء وأولياء التلاميذ** منبراً للدفاع عنه وحلِّ كل مشاكله، ذاتية كانت أو علائقية، أفقية أو عمودية .. هذه الجمعية التي ركز عليها الإصلاح الجديد - القديم «الميثاق الوطني للتربية والتكوين»؛ إذ مساهمتها بادية للعيان للخروج من الكثير من العقبات و المعوقات ...، ولست هنا مستعدّاً للوقوف عند كل قُدُراتها في ذلك، ثم إن هذا يحتاج إلى موضوع خاصٍّ لاتسعه صفحات جرائدية، وإنما نحن سنبدي دورها في الخروج من معضلة الساعات الإضافية المؤدى عنها.

و حتى نبرز ذلك - تاركين الحديث عن القطب الآخر (المعلم - الأستاذ) حتى حين - دعونا نطرح جملة من الأسئلة تكون منطلقنا:

* أليس الأب مسؤولاً أمام تأخر مستوى ابنه الصفي .. وهو الأمر الذي يدعوه إلى الاستعانة بالساعات الإضافية المؤدى عنها كحلّ تطبيبي ...؟.

* ألا يعد الأب عضواً ضمن جمعية آباء وأولياء التلاميذ ومن ثمَّ مسؤولاً عن تحريكها وتفعيلها...؟.

* ألم يفطن الولي / الأب بعدُ لدور المؤسسة التعليمية ويجعلها أولى الأولويات ...؟.

* متى كان الولي / الأب مسؤولاً بالمعنى المباشر للكلمة .. ألا يعدُّ حينذاك طرفاً يُسْهِمُ من جانبين في تـأزّم الوضـع ...؟.

بالنظر في هذه الأسئلة نكون قد كـوّنا أفْـق انتظار عن الذي يخطّها، من قبيل، إنه يحلّل الأمور بشكل سطحي أو إنه يمارس نفاقاً اجتماعياً لم يعد أحدٌ يجهله ... قد يكون هذا الكلام صحيحاً .. لكن دعني أقول إنه لم يعد أحد يجهل المسببات الأصل في كل مشكل مجتمعي .. نحن لا نغفل جريان الجهل في دماء عروق آبائنا، ولا ننسى أن مشكل الفقر أبعَدَ هـؤلاء الآباء عن مثل هذه الاهتمامات التي ندعيها ... ولا ندّعي أن الجهات المسؤولة لا تعي مكمن الخلل !!.

لكن مع كل هذه الحالات فنحن نعوّل على الضمائر الحية التي توازي بين كل الحاجيات وتراعي مصلحة الوطن أولاً التي ضمنها مصلحة أبنائه / شبابه.

فجمعية آباء وأولياء التلاميذ بمقدورها إيقاف زحف شبح الساعات الإضافية المؤدى عنها وفْقَ اتجاهين:

الأول: من حق هذه الجمعية: حيث إنها التي تحضُر لقاءات المؤسسات التعليمية في شخص ممثلها أن تطالب المؤسسة بمحاسبة أطرها عن عدم القيام بحصص الدعم والتقوية في الوقت الذي يشكل هذا مطلباً هامّاً ضمن مطالب الإصلاح، و مَن يشكل أحد هؤلاء المعنيين - أقصد الأطر - فهو يعرف أن الدعم يُدرَجُ كحصص ضمن استعمالات الزمن دون القيام بذلك، واعتبار تلك الحصص شاغرة؛ هذا طبعاً إن لم يستوف المعني بالأمر السقف القانوني لساعات العمل (أربعة وعشرون ساعة في الأسبوع).

الثاني: بمَكْنَة هذه الجمعية ضمن قانونها الداخلي أن تسطّر بنداً يرمي إلى متابعة - متابعة قانونية؛ وهذا من حقها إن استطاعت أن تبرّر الدواعي والأسباب - مَن يُقبل على الساعات الإضافية المؤدى عنها، خاصة إذا كان المعلم - الأستاذ هو نفسُه الذي يجمع بين المهمتين (التدريس وامتهان مهنة استنزاف الأموال من جيوب مَن يملك ومَن لا يملك)، وفي هذه الازدواجية الطامة الكبرى؛ إذ من خلالها لم نعد نستطيع الحديث عن مدى معيارية التقييم، وهذا ماسنوضحه أثناء الحديث عن القطب الآخر.

لا أظنك غافلا عن كوننا هنا نمزج بين أمرَين في تناول الموضوع، **التشخيص** وإن بطريقة ضمنية ثم **كيفية المعالجة** وهذا بشكل مباشر، وبعد أن قدّمنا طريقين يمكن سلوك إحديهما من قِبَل جمعية آباء وأولياء التلاميذ دون ادّعاء أنهما فقط السبيل الأوحد للمعاجة .. فهناك وسائلُ واتجاهات أخرى لسنا بحاجة لذكرها حتى لا نجعل من الأمر عويصاً يُفشل منذ الوهلة الأولى رغبات تَشعُر بثقل المسؤولية وتندم عما فات وتنشد الإصلاح والتغيير غير آبهة بالقول القائل: «اللّي اعْطْ اللّه اعْطاه».

قلتُ، بعد أن قدمنا ذلك سنقف عند

مربي الأجيال وما أدراك ما مربي الأجيال ..!، لنُظهِر عورَتـه في هذا المجال ولا أخجل من قول كلمات جارحة؛ حيث أعتقدني مسؤولاً عما يجري إن لم أدافع بالقلم، وذاك أضعف الإيمان ..! .. في الوقت ذاته لا أظن كل المربين ينخرطون في هذا المجال، فهناك والحمد لله ذوو ضمائر وعقليات تنويرية وحس وطني لا يمكنهم أن يكونـوا أنانيين لدرجة لا يرون فيها إلا مصلحتهم، ومن ثمَّ يُسْهمون في تعكير الماء الذي بات من الضروري تصفيته.

الذين انخرطوا في الساعات الإضافية المؤدى عنها، وأخص بالكلام أولئك الذين يمتهنون مهنة التدريس (معلم - أستاذ واحد والتلاميذ أنفسهم يدرسون عنده ويتابعون معه الساعات الإضافية خارج المؤسسة)، لا أعتقد أنهم يجهلون كونهم يضيفون تلك الساعات لتقوية ذواتهم ماديًّا ليس إلاّ ..!، نعم لهزالة أجور المدرسين لكن البديل ليس هو هذه الساعات، خاصة أنها تقف **حجرة عثرة** أمام نقط كثيرة نصّ عليها الإصلاح أو بالأحرى تهدف إليه؛ من بينها:

* **مبدأ تكافؤ الفرص / معيارية التقييم / التوظيف** وأمور أخرى.

كيف ذلك ...؟، إذا علمنا أن الساعات الإضافية المتحدَّث عنها ينجزها نفس الأستاذ الذي يدرس مادة بالمؤسسة، وتبيَّنا أن **المتفوقين** ضمن فصله لا يتعدّون أولئك الذين يضيفون عنده «السوايـع» ماذا نفهم..؟.

ندرك أن هذا النوع من المعلمين - الأساتذة يمارس سلطة معنوية مباشرة تجبر كل متعلميه لزيادة «السوايـع» عنده، ويؤدون عنها طبعا، ساعات تتم خارج المؤسسة، ولربما في منزله؛ وحيث إن الأمر كذلك فنحن أمام وجهين لنفس الأستاذ، المتعَبُ والكسولُ داخل الفصل، والحيويُّ المجتهدُ خارجه (أثناء الساعات الخصوصية)، دون أن يعي صاحبنا أنه يُكَوِّنُ صورة مزدوجة لدى هؤلاء المتعلمين.

عندما تُكَوَّن لدى المتعلم قناعة ترمي إلى: «إذا أردت أن تتفوّق فأضِف «السوايـع» وعند أستاذك بالتحديد ..!»؛ فإنه لا يرى خياراً آخر غير ابتزاز آبائه؛ الذين لا يرغبون المساهمة في الإصلاح؛ لينخرط ضمن قافلة المسهمين في الإفساد، ومن ثمّ يكون ضامنا لتفوقه وحصوله على معدلات عالية؛ إذ يستحيل على هذا المعلم - الأستاذ تطبيق **مبدأ تكافؤ الفرص** ومن ثمّ **دقّة التقييم** وهو الذي أبرم عقداً / اتفاقاً مع آباء التلاميذ الذين يضيف لهم «السوايـع» بكونهم سيتحسنون ويصبحون متفوقين، طبعا العاقل سيدرك أن تحسنهم وتفوقهم مرتبط فقط بسنة أو سنتين، اللهم إذا كان أمثال هذا المعلم - الأستاذ كثيرين، وحظّ هذا التلميذ الجميل أنه في كل سنة يصادفهم، حتى يبلغ المراد وتنتهي سنوات الدراسة لديه ليلج مركزاً من مراكز التكوين (**التوظيف**)؛ حيث

السياسة المتبعة في هذا الإدماج هي نفسها تحتاج إلى إعادة نظر - وهذا لربما مابدأنا نشم رائحته-؛ إذ ولـوج المراكز يتوقف على المتفوقين .. لكن عن أي متفوقين نتحدث..؟، المتفوقون الآن (أي في هذا الزمن) هم الذين تحدثنا عنهم هنا إلا مَن رحم ربُّك، وللإشارة فـ«**التفوق**» من حيث تشجيعُه خُصِّصت له دعامة (الدعامة الحادية عشرة) إلى جانب التجديد والبحث العلمي ضمن الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وعليه فهذه الصفة في أغلب الأحايين تُلصَق بغير مستحقيها للأسباب التي ذكرنا وسنذكر.

ومن بعد ذلك يتخرّج صاحبنا إطاراً من أطر أحد القطاعات ليعيد تجربته مع أبنائه وليمرِّر خُطواته الناجحة - حسَبه طبعاً - لكل زملائه، هذا دون أن يعي أبناؤنا أو بالأحرى آباؤهم أن كل هذه الأشياء تُكسِبُ أبناء المستقبل خصلات لاعهد لنا بها؛ منها: **الاتكالية من جهة الآباء وأبنائهم ثم التنصل من المسؤولية من جهة الآباء والمعلمين - الأساتذة**؛ هؤلاء بعدم إتقان الواجب واعتبار الساعات الإضافية مهمّة من المهمات يستدعيها الضمير والحس الوطني، وأولئك - أقصد الآباء - تناسي أنهم المسؤولون عن مصير أبنائهم.

فالأبناء لا يبغون إلا الطرق السهلة غير مدركين للعواقب، ولربما جاز القول: إن من حقهم كل ذلك ماداموا يجتهدون ويكدّون ولا يحصلون على معدّلات أو بالأحرى معدّلات عالية، فقط لأنهم لا يضيفون ساعات إضافية ويؤدّون عنها عند أستاذهم ..! .. ماذنبُ هؤلاء حتى لا يُنجزَ الدرس بالـوجه الأكمل داخل الفصل ..!، لماذا لا نعيد للفصل الدراسي داخل المؤسسة قيمته وهيبته ..؟!، ونجعل منه منطلقاً حقيقياً **لتكافؤ الفرص وتسلق الدرجات العليا**، ومن ثمَّ إعطاء **المناصب لمستحقيها** ...!.

ألم تكن تلك الفصول الدراسية - العمومية هي التي قدّمت لنا أدباء ومفكرين ونقاد كبار من أمثال: محمد زفزاف، محمد شكري، محمد عابد الجابري، محمد سبيلا، رشيد يحياوي، نجيب العوفي، ... واللائحة طويلة، دون اللجوء إلى تلك المخافر اللامسؤولة .. نحن لا نجهل كون هذه الساعات يقوم بها أيضاً بعض الذين رمت بهم الجامعة في الشارع، فهؤلاء لايمسهم كلامنا في شيء، اللهم إذا شاركوا في ما ننبذه كأن يتعاقدوا - مجرد التفاهم - مع أحد المعنيين بالأمر؛ هذا الذي يدعو تلامذته بالتوجه إلى صديقه والنتيجة واضحة طبعاً.

ومكمن الخلل حقيقة يكمن في العقليات، وهذا مانبهنا إليه بداية؛ بل هذا ما دفع محمد عابد الجابري ليشن هجمة على العقل العربي (= مشروع نقد العقل العربي)، طبعاً الأمر مع الجابري أشمل وأعم، أضف إلى ذلك الفارق الزمني بين ذلك وما نحن فيه؛ في الوقت الذي لا يعني هذا أن لا علاقة بين ذلك وهذا؛ حيث كثيراً ما أشار المفكر نفسُه في مواضع ومواضيع مختلفة إلى تلك العلاقة (= جعل المقروء معاصراً لنفسه

ومعاصراً لنا في الوقت ذاته)[1]، وفي شرحه لـ«معاصراً لنا» يقول: «بمعنى النظر إليه نظرة تاريخية تعتمد على إضفاء المعقولية على الشيء المقروء، وبالتالي البحث فيه عما يمكن أن يساهم في إعادة بناء الذات العربية وهي المهمة الملحة المطروحة في الظرف الراهن»2، نعود للقول إذْ ما السبيل إلى متابعة كل من يُسّهم في الأزمة؛ في الوقت الذي يكون فيه الخلل والمشكل أعمق مما نعتقد، وإن كان ذلك كذلك فهو لا يعني **الاستكانة و التقاعس** وما شابه ذلك؛ بل الأمر يتطلب **جَهداً جهيداً** للخروج من كل الأزْمات.

أخيرا لا آخراً، هذه بعضٌ من خبايا ما تتخبّط فيه مؤسساتنا التعليمية، أما الحديث عن كل شيء فيتطلب فريق عمل، أطرافه تتكون من كل أطياف المجتمع، تربويون، آباء، مسؤولون، تلاميذ، غيورون (= متتبعون من جمعيات مدنية).

الهامش:

1: «مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول في التعريف بالقرآن»، الطبعة الأولى: سبتمبر 2006، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغــرب، للأستاذ والمفكر المغربي محمد عابد الجابري رحمه الله، ص: 10.

2: كيف نتعامل مع التراث؟ ... ولأن العقلانية ضرورة!، (سلسلة مواقف)، للأستاذ والمفكر المغربي محمد عابد الجابري رحمه الله، العدد الخامس عشر، الطبعة الأولى، مايــــو: 2003، صص: 53 / 54.

ملاحظة: لماذا نكتب «**المعلم – الأستاذ**» ونحن نعلم أن لا فرق بينهما وإن اختلفت التسمية، نكتب ذلك فقط للإشارة إلى أن الفعل المبخوس الذي شكل موضوع حديثنا يتم في جميع الأسلاك (ابتدائي / ثانوي إعدادي / ثانوي تأهيلي)، ومن ثمّ من قِبَلِ المعلم و الأستاذ.